

# **تعليمية اللغة العربية في ضوء المنهج التداولي (التعليم الابتدائي الجزائري بين الواقع والمأمول)**

*linguistics are to acquire linguistic and communicative competence, whether for speakers of Arabic or for speakers of other languages*

\*<sup>1</sup> أ.د حاكم عمارية

جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية<sup>١</sup> | الإيميل المهني: hakem@qu.edu.sa

تاریخ الارسال: 2024/04/01 | تاریخ القبول: 2024/05/30 | تاریخ النشر: 2024/06/13

## ملخص:

الدولية في أبسط تعريف لها هي العلم الذي يدرس اللغة أثناء الاستعمال، وعلى أساس الاستعمال فإنه لا يمكن أن يكون هناك تواصل، حيث إن التواصل أو التحاور أو التفاعل لا يتم إلا بوجود مرسى ومرسل إليه ورسالة، أي بين متكلم ومستمع وموضع؛ ومهما تعددت مصطلحات المتكلم والمخاطب، أو السامع والمخاطب (فتح الخاء) فإن التواصل يشمل المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، وبناء على ما جاءت اللسانيات الدولية من مبادئ التعاون والكم والكيف، وانطلاقاً من أسئلتها العلمية الممنهجة؛ من المعلم؟ ومن المتعلم؟ وماذا نعلم؟ وكيف نعلم؟ ولماذا نعلم؟ فقد أوضحت معالم العملية التعليمية، إذ لا بد من تسطير الأهداف والأغراض التي ينبغي تحقيقها أو الوصول إليها. وعلى هذا الاعتبار فإن أهداف التدريس في اللسانيات الدولية هي اكتساب الكفاءة اللغوية والتواصلية سواء بالنسبة للناطقين باللغة العربية أو للناطقين بغيرها.

و ضمن مبادئ اللسانيات التداولية سأعالج في ورقي البحثية- إن شاء الله - كيف يمكننا الاستفادة منها في مجال تعليمية اللغة العربية، وكيف يمكن استثمار مبادئ العالم غرايس في تيسير العملية التعليمية بالإضافة إلى مبادئ تشومسكي في ثنائية الكفاءة اللغوية والأداء، معرجة إلى أسس تعليمية اللغات وفق البرامج التعليمية الحديثة من أجل تعليم أفضل في المدرسة الابتدائية الجزائرية التي يجب عليها أن تتماشي وتطورات العصر الحاصلة، وذلك بتكون المعلم والمتعلم مع رسم الأهداف المتواخدة مستقبلاً من عملية تحديث المناهج العلمية. خاصة وأن مبادئ التداولية ترسم بدقة كيفيات وطرائق التدريس، لأنها تجنب عن كثير من الأسئلة التي تشغله المعلم والمتعلم، كما ترسم الأهداف التي سيحققها المتعلم من تلقيه للعلوم والمعرفة.

حاکم عماریہ \*

**الكلمات المفتاحية:** التعليمية؛ التداولية؛ اللسانيات؛ الديداكتيكا؛ المبارات.

### **Abstract:**

Pragmatics, in its simplest definition, is the science that studies language during use. On the basis of use, there can be no communication. Communication, dialogue, or interaction only takes place in the presence of a sender, an addressee, and a message. That is, between a speaker, a listener, and a subject. No matter how many terms there are speaker and addressee, or hearer and addressee (with fatha kha), communication includes the teacher, the learner, and the educational material, based on what pragmatic linguistics has come up with in terms of the principles of cooperation, quantity and quality, and based on its systematic scientific questions; Who is the teacher? Who is educated? And what do we know? How do we know? Why do we know? It has clarified the features of the educational process. It is necessary to outline the goals and objectives that must be achieved or reached. Based on this consideration, the goals of teaching in pragmatic linguistics are to acquire linguistic and communicative competence, whether for speakers of Arabic or for speakers of other languages .

Within the principles of pragmatic linguistics, I will address in my research paper - God willing - how we can benefit from them in the field of teaching the Arabic language, and how Grice's principles can be invested in facilitating the educational process, in addition to Chomsky's principles in the duality of linguistic competence and performance, referring to the foundations of language education according to programs. Modern education for the sake of better education in the Algerian primary school, which must keep pace with the current developments of the era, by training the teacher and the learner while setting the goals envisaged in the future from the process of modernizing scientific curricula. Especially since the principles of pragmatics precisely define the methods and methods of teaching, because they answer many of the questions that preoccupy the teacher and the learner, and they also define the goals that the learner will achieve by receiving science and knowledge

**Keywords:** Pragmatic; Education; Learning; linguistics; skills.

. 1 تہمیڈ:

من التعليم في الجزائر بمراحل متعددة بعد الاستقلال؛ حيث كان أول قطاع تهتم به الدولة؛ هو قطاع التعليم لأن التعليم هو أنس رقي الأمم والحضارات، وعلى الرغم من قلة المعلمين والمؤطرين والهيئات البيداغوجية، إلا أن التعليم كان في قمة الجودة والرقى، ومع مواكبة التطورات الحاصلة في العالم كله، سعى صناع القرار إلى التهوض بالتعليم أكثر

استجابة لتطورات العصر، فتغيرت البرامج والمناهج حيث تم استيرادها من الغرب بغية تطبيقها في البيئة الجزائرية أو العربية على وجه العموم، وبعد مرور فترة من الزمن اتضح أن التعليم في الجزائر بدل أن يتطور كما كان يتوقع له، فقد تدهور حيث إن كثرة البرامج واختلاف المناهج التي نشأت وتأسست في بيئه غير عربية، ومن قبل مفكرين غرب لم تؤت أكملها في البيئات العربية عامة.

والى يوم تبادل معظم الدول العربية بإعادة النظر في المناهج والبرامج والكتب المدرسية من أجل جودة عالية في التعليم لكن المشكل لم يكن في المناهج الغربية، بل في عدم فهمها على الوجه الذي أراده مشروع هذه المناهج والبرامج التي نعتقد أنها قامت على أساس علمية موضوعية؛ معتمدة على نظريات علمية كالنظرية المعرفية والنظرية السلوكية ونظرية التحليل النفسي، ونشير إلى أن النظريات المذكورة؛ كانت تعتمد على عملية التعزيز الإيجابي والداعمة من قبل التلاميذ لتقدير التعليم.. (وزى، 2015، صفحة 25)

## 2. دور نظریات التعلیم:

**النظريّة السلوكيّة:** «ترى أنه بفعل التعزيز الإيجابي والثواب والعقاب: فإن الفرد منذ السنوات المبكرة من حياته ينقد للبحث عن بعض المواقف وتجنب الأخرى، وتبعاً لذلك تتكون لديه الاتجاهات الأولى؛ فمثلاً يكرر الطفل سلوكاً معيناً لأن هذا السلوك سبق وأن صدر منه في موقف معين وتم تعزيزه من قبل أفراد محبيه». (وزي، 2015، صفحة 25).

بـ. نظرية التحليل النفسي: ترى هذه النظرية أن الدوافع الغريزية، ودوافع العدوان المكتومة تحمل نشطة وفاعلة في اللاشعور وتدعى عن النفس، لكنها متعلقة بأهميتها (وزعن، 2015، صفحه ١٣٦).

النظريّة المعرفية: تعبّر هذه النظريّة تكميلًا للنظريّتين السابقتين ولكنها تضيّف إلّيما العامل العقلي، فالإنسان يعرض بوعي تام الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، ثم يقوم بعملية مقارنة لوسائل بلوغ هذه الأهداف أو المعيقات التي حالت دون الوصول إلى تحقيقها، ليقرر في النهاية السلوك الملائم لانتهاجه والسير على خطاه. (وزي، 2015)

وعلى هذا الأساس تولدت مصطلحات من قبل:

3. التدريس بالأهداف: انطلاقاً من النظريات السابقة يكون مشروع المناهج التدريسية قد توصل إلى تسطير الأهداف المرجوة من التعليم في كل مرحلة؛ وهذا الذي يدعى التدريس بالأهداف؛ حيث يدرك المعلم أن كل مادة أو كل حصة سيقدمها لطلابه ستحقق هدفاً جزئياً وفي نهاية المرحلة الأولى أو السنة الأولى من التدريس، يكون المتعلم قد حقق في السنة الأولى ابتدائي مثلاً عدة كفایات؛ إدراك الحروف، إدراك القواعد النحوية البسيطة، إدراك جدول الضرب والجمع والطرح والقسمة، إدراك الأعداد، إدراك مهارة الكتابة وهكذا مع كل المراحل اللاحقة.

وإذا كان التعليم هو نشاط علائقي وتواصلي، فإن الدور الأساس يعزى إلى المعلم لأنّه هو الذي يقوم بتنظيم وتنشيط الوضعيّات والأنشطة المفيدة للمتعلّم؛ إنه يغدو ميدعاً ومرافقاً ومدبر الأوضاع وموافق التكوين؛ فدوره كمرافق أكبر من دوره كناقل المعرفة، فالملّم مكف بمعرفة كيف يستغلّ بأسلوب وضعيات ومشاكل البحث ودراسة الحالات والمشاريع المفتوحة، مما يتطلّب منه تكويناً ديداكتيكياً دقيقاً حتى يكون قادرًا على فهم استدلالات

واستراتيجيات وأخطاء التلاميد ليجد لها الحلول الضرورية (وزي، بيداغوجية فعالة ومحددة كفايات التعليم والتعلم الجديدة للقرن الواحد والعشرين، 2017، صفحة 66)

#### ٤. دو افع الإصلاحات التربوية:

## 1.4 العولمة:

منذ أن انتشرت وسائل التكنولوجيات الحديثة، تسرب التغيير إلى كل العالم العربي بشكل كبير؛ أكثر من الفترة التي تلت استقلال مستعمرات كل من فرنسا وبريطانيا وإنجلترا، وفي ضوء هذه التطورات التكنولوجية الحديثة؛ سارع العرب إلى استرداد الثقافة العلمية عبر مناهج التعليم من الغرب، فوصلتهم الثقافة العلمية عبر منظومات التقنية المستخدمة في الحياة الغربية الحديثة، والتي جاءت في الواقع ضمن أنظمة التقنية التي تطلبها أو تفرضها نماذج التنمية الحديثة؛ مثل منظومات الزراعة والصناعة وشبكات الماء والكهرباء والطرق والمواصلات... وهنا تطلب الأمر برامج للتعليم والتدريس الفني والمهني، إلا أنه لحد الساعة لا تزال التقنية العلمية في حاجة إلى تطوير وتعديل لكي تحقق هدفها المتمثل في تأهيل الأيدي والعقول العربية لاستخدام أو تبتكير تقنية بكفاءة عالية وفعالة. (المناري، 2013، الصفحات 138-138)

**2.4 الضرورة البيداغوجية:** لا شك أن التعليم الابتدائي هو مركز كل التحولات والتغييرات اللاحقة؛ حيث يمثل الطفل الحقل الذي تجرب عليه الدول مدى نجاعة مناهجها وبرامجهما، لذلك فإن أول تغيير يحدث سيبدأ بالكتاب المدرسي الذي يجب أن يتفق على إعداده مجموعة من ذوي الاختصاص بالإضافة إلى الطبيب، المهندس، الاقتصادي وعالم النفس لأن الطفل تتوجهه دوافع متعددة.

وكما يشاع فإن الطفل مثل الصفحة البيضاء التي تحفظ بكل ما يخط لها؛ وهذا ينطبق على ذاكرة الطفل، ومن هنا تأتي الضرورة البيداغوجية بتكميل العلوم أو بما يسمى بالعلوم البنائية من أجل إعداد الكتاب المدرسي لكل الفئات العمرية، والمراحل التدريسية.

ولا نعتقد أن مجتمعنا العربي تستدعيه عالم الفقه، أو عالم الاجتماع أو عالم اللسانيات أو الطبيب أو عالم الاقتصاد لإشرافه في إعداد الكتاب المدرسي؛ فعادةً إن الذين يشهدون على إعداده يكونون من قدامى المعلمين والمفتشين والمدراء التقاعدية، وهذا من الناحية العلمية الموضوعية يمثل خطأً فادحاً في حق التلميذ، فاللهم يرى كائن بشري: يشعر ويتألم، يحب ويكره، يستجيب ويرفض، ينسجم ويفرد وهكذا فهو ليس آلة أو فأرًا نطبق عليه فرضيات منظرين أو علماء.

ولعل عدم إشراك جل المختصين في العلوم البينية هو الذي انجر عنه تقديم نصوص أو دروس إلى التلاميذ لا تنسجم وأعمارهم أو ذهنياتهم أو حالاتهم النفسية وبدل أن يتتطور التدريس في البلدان العربية تراجع وتتقهقر، وإذا عرف الداء تم إيجاد الدواء، واعتمادا على العلل والمعلولات؛ انقل التعليم إلى مناهج أخرى وببرامج مناسبة لها، فتولد مصطلح آخر في نظام التعليم الجديد، وهو نظام التعليم أو التدريس بالكفاءات فماذا يعني به؟

5. التدريس بالكفاءات: في كل مرحلة من مراحل التعليم يزود المركز الوطني للوثائق التربوية المعلمين والتلاميذ بكتب جديدة تتلاءم من وجهة نظر واضعي الكتاب المدرسي وحاجة التلميذ التي تنسجم مع تطورات العصر؛ فالكتاب المدرسي هو حوصلة لتجارب سنين عديدة، وثمرة لجهد علمي كثيف وعصارة للبحوث الطويلة

والعميقة في التربية ولذلك عد التدريس بالكفاءات أفقاً مستقبلياً ومكملاً معازاً، ويعتمد التدريس بالكفاءات على كفاءة المعلم والمتعلم معاً، لذلك خصص تكون بيداغوجي للمعلمين في نهاية كل أسبوع أو نهاية كل شهر.

ويدخل التدريس بالكفاءات ضمن الإصلاحات التربوية الجديدة في كل الأطوار التعليمية، حيث يقوم هذا النظام الجديد في التعليم على تبني مقاربة علمية جديدة تهتم بالأداء والإنجاز، وتتمثل هذه المقاربة في «مقاربة التدريس بالكفاءات» التي ترتكز على منطق التعلم دون التعليم، حيث يمثل التلميذ محور العملية التعليمية، ولعل تحديث التعليم والمناداة بالإصلاح راجع إلى انتقال الدولة من نظام سياسي أحادي إلى نظام التعددية السياسية، وإلى ظهور التكنولوجيا الحديثة وأثرها في تطوير التعليم وفي مواكبة العصر، ولعل السبب الأهم لدعوة الإصلاح التربوي هو تدنٍ، مستوى التلاميذ.

يعتمد التدريس بالكفاءات على (القدرة والإنجاز)، وذلك أن اشتغال القدرة يتميز بنوع من التجدد المستمر في الإنتاج، ويستوجب الجانب المتجدد والاستمراري ضرورة الاحتراس وتميز القدرة من منظور (تشومسكي) بخاصية الخلق والإبداع، وأما الإنجاز فهو التنفيذ العملي لقواعد القدرة وألياتها وللعوامل الخارجية أهمية قصوى في تحليل الإنجاز وبالنظر إلى ما يحتويه من معلومات هامة تتعلق بثقافة الفرد وسلوكه النفسي ووضعه الاجتماعي، فإنه يحمل مؤشرات حقيقة مساعدة على دراسة السلوك البشري في محیط وبيئة معينة. (غلان، 2016، الصفحات 81-82)

وفي باب الاختيار التربوي وأسئلة البيداغوجيا؛ فإن المدرسة تعد محركاً أساسياً للتقدم الاجتماعي كما تنص على معظم التوجهات التربوية العامة، واعتبار المدرسة مجالاً حقيقياً لترسيخ القيم الأخلاقية، وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، وممارسة الحياة الديمقراطية، فإن هذا المطلب بقدر ما يفرض على البيداغوجيا واجب الاستجابة، بقدر ما يعطيها حق الاشتراط، فقد يقول اليوم رجل السياسة مثلاً: علينا أن نغير جهازنا التعليمي والتكتيكي حتى نضمن الاستجابة لمتطلبات وحاجيات سوق الشغل وعلى هذا الأساس يكون من واجب البيداغوجي أن يؤطر بعين الاعتبار مطلب الاستجابة لحاجات سوق التشغيل، على أن يكون من حقه في الوقت نفسه الاحتفاظ بصلاحية تحديد الأهداف التي من أجلها سيتم تغيير وظيفة الجهاز التعليمي تغييراً جذرياً.  
(الادملود، 2012، الصفحتان 64-65)

وعلى اعتبار تحديد الأهداف: فإنه لا ينبغي الاعتقاد بأن «اعتماد التربية على القيم وتطوير الكفياة التربوية... كمدخل بيداغوجي لمراجعة مناهج التربية والتكتون» منتهى النقاش البيداغوجي؛ بل إنه البداية والمدخل لتفكير المدرسة في معناها على أن لا ينسينا هذا أن الحقل الذي يغذي مفهوم «الكافية» كمفهوم مؤسس للمقاربات البيداغوجية الجديدة هو حقل العلاقة بين مكتسبات التكتون والوضعيات المهنية وهو حقل يضع على رأس جدول أعماله: سؤال العلاقة بين المكتسبات المعرفية والأنشطة السوسيومهنية، فلقد أصبح مطلوباً من تكتون المعلم، وتعلم التلميذ أن يؤهلهم لاستثمار «المعرفة» في حياتهم المهنية والدراسية، بهدف المردودية وتبني كافية التكتون؛ وذلك منذ أن أصبح الاسماء، اللامادى، مكوناً أساسياً من مكونات العملية الانتاجية.

ومهما اختلفت الأنظمة التعليمية؛ فإن أهمها تحديات كبرى: أهمها تراكم المعلومات وتدفقاتها، ضرورة الجواب على سؤال المعنى؛ لذلك فإن التخفيف من حدة الفشل المدرسي: يمر من التفكير في نظام التقويم الذي يحتم استحضار مقياس المصداقية الخارجية، كما أن مقياس الفاعلية الداخلية يفرض التساؤل عن المعارف الضرورية التي تؤهل التلميذ للانتقال من مستوى إلى آخر، وبعيداً عن الإرغامات السوسيومهنية والمؤسسية، يمكن القول إن اعتماد مفهوم «الكفاية» في الحقل البيداغوجي بما يفتحه من مجال لإعادة النظر في الوظيفة

الرئيسية للمدرس، يمكن أن يكون مدخلاً لمساءلة المدرسة في علة وجودها وغاياتها وأنماط اشتغالها.  
(الادملود، 2012، الصفحات 67-68)

وأنطلاقاً من مسألة المدرسة؛ لماذا نتعلم؟ وماذا نتعلم؟ وكيف نتعلم؟ وما هي معيقات التعليم والتعلم؟ يدخل المنهج التدابري ليجيب عن هذه الأسئلة والتساؤلات من خلال المبادئ التي سنهَا العالم غرایس «مبادئ التعاون»، ومن خلال أفعال الكلام (ألوستين) وتلميذه (سورل) علماء التدابرية والحجاج، وكذلك يورغن هابرمانس، فماذا عن التدابرية.

ال التداولية: في أبسط تعريف لها هي العلم الذي يدرس اللغة في الاستعمال، أو يدرس الاستعمال الحي للغة، أي دراسة اللغة من قبل ذويها؛ «وإذا ما حاولنا تتبع تاريخ التداوليات في علاقتها باتجاهات البحث اللساني الحديث، وخاصة المدرسة التوليدية، أليفيانا (تشومسكي) في مرحلة مهمة من مراحل تطور الدرس اللساني، قد ماز بين (الكفاية والأداء) معتمداً في هذا على أساس سيكولوجي في تعامله مع الظاهرة اللغوية... فإذا انتقلنا إلى مرحلة زمنية أكثر تقدماً وجدنا أن التداولية بوصفها دراسة استخدام اللغة، تمثل شكلاً مميزاً في دراسة الأداء ليس في بعده السيكولوجي فقط وإنما في بعده الاجتماعي والثقافي أيضاً».

واستناداً إلى وظيفة المنهج التدابي أو التدريس بالكتفأة يمكن اعتماد (قواعد غراسي) في العملية التعليمية، وذلك أن يكون المعلم واعياً بما سيقدمه، ومدركاً للأهداف التي يريد تحقيقها؛ لا مجرد إلقاء الدرس للتلاميذ لأنَّه مبرمج؛ وهذه المبادئ هي كالتالي:

## 1.6 قاعدة الكم:

- يجب أن لا توجز إلى حد الإخلال، ولا تطبل إلى حد الإفراط، وتتفق هذه القاعدة مع (ظاهرة الحذف والاختصار والاتساع) في اللغة العربية، وقد أشار سيبويه إلى هذه القواعد في كتابه منذ قرون، وعلى الرغم من كل الاجتهادات في تيسير عملية تدريسية النحو العربي في المدارس العربية والأجنبية فإنه لم يتمكن لحد الساعة التخلصي عن القواعد السيبويهية لأنها نابعة من البيئة العربية المستعملة اللغة العربية.

إخبار السامع بالقدر الذي يحتاجه دون زيادة.  
توفر القدر المطلوب من المعلومات.

## 2.6 قاعدة الكيف:

- عدم إعطاء المعلم للمتعلم معلومة لا يملك دليلاً على صدقها أو صحتها (عدم الإلغاز).
  - لا تقل للمخاطب ما تعلم كذبه (باب الاستقامة في اللغة، وهو باب في كتاب سيبويه تفرعت عنه أسس نحوية وبلاغية كثيرة).
  - لا تقل شيئاً تحتاج فيه إلى حجة أي لا تقل ما ليس لديك عليه حجة أو دليل أو بينة (لا تقدم قواعد نحوية عشوائية لست متأكداً من صحتها).

وتعتمد (قاعدة الكيف) على القياس في حال انعدام قاعدة نحوية واضحة، مثالنا لذلك محمد رسول الله فالقاعدة هي أن الجملة الاسمية هي التي تبتدئ باسم معرف مرفوع وأما الخبر فيتنوع من اسم نكرة مرفوعة أو جملة فعلية أو جملة

اسمية أو شبه جملة، ولكن في حالة تساوي المبتدأ والخبر في الرتبة، فالأصح أن يكون الاسم الأول مبتدأ والاسم الثاني خبراً.

+ وفي مثال آخر عن المفعول به: ضرب موسى عيسى هنا لا نعرف الضارب من المضروب، والقاعدة تقول (فعل + فاعل + مفعول به)، لكن قد يتقدم المفعول به جوازاً أو وجوباً لفائدة يريدها المتكلم تفهم من خلال سياق الكلام كما في قوله تعالى: «انما يخشى الله من عباده العلماء» سورة فاطر الآية 28.

3.6 قاعدة الورود:

تمثل هذه القاعدة في مناسبة المقام لمقتضى الحال يقول سيبويه: «سمعت تكبيرات القوم وكانت بعيدا عنهم ولكن على مرأى منهم، فقلت: الهلال ورب الكعبة» أي هلال شهر رمضان الموجب للصيام، وتتضمن هذه القاعدة أنه لكل مقام مقالا، فالتكبير دلالة على ظهور شهر الصيام، وهذه وسيلة من وسائل قوم ذلك العصر، حاليا فالوسائل التكنولوجية هي سيدة الموقف، لذلك تطور علم الفلك بتطور التكنولوجيات، فأصبحنا نعرف كل الشهور والأعياد الدينية دون اللجوء إلى الرؤية البصرية العادية ومعنى هذا أن بعض الكلام أو بعض السلوكيات تفهم من خلال ورودها في سياقها، أو كمثال سيبويه: هذا جحر ضبٌ حربٌ/ خربٌ، فهنا قد يقع التباس وإلغاز، ولكن بإعمال شيء من الفكر وتحليل الجملة إلى عناصرها وربطها يتبين الغموض فالمفرد (حرب) هي وصف للحجر وليس للحيوان (ضب).

#### 4.6 قاعدة الكيفية:

تتضمن هذه القاعدة آداب الخطاب والجواز وطريقة الأداء.

كن واضحاً، لا تلغز، تجنب الغموض، تجنب الالتباس، ليكون خطابك للمتعلم الهدف مركزاً، منظماً، كن مؤديباً، يقول سبيوه بهذا الشأن «فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فisser»

وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه أحد علماء التداولية والحجاج وهو (أوزفلد ديكرو Décrot) حيث سن قوانين للتواصل والتبلیغ كالتالي:

- قانون الاهتمام.
  - قانون الإخبارية.
  - قانون الاستقصاء
  - قانون التلطيف.

إِذَا كَانَتِ الْقُوَّادُ وَالْقَوَاعِنِينَ السَّابِقَةَ قَدْ أَوْلَتِ عَنْيَاهَا لِلْمُتَكَلِّمِ مُدْرِسًا أَوْ مُخَاطِبًا، فَإِنَّ لِلْمُسْتَمِعِ جَمِيعًا أَوْ تَلَمِيذًا حَظَهُ كُلُّ ذَلِكِ مِنْ اهْتِمَامِ الدَّارِسِينَ الْقَدَامِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَمِنْ قُوَّادِ الْاِهْتِمَامِ بِالْمُسْتَمِعِ أَوْ الْمُتَلَمِّعِ الْهَدْفُ مَا يَلِي:

حسن سلامة السمع، حسن الإصغاء والانتباه، خاصة وأن السمع هو أبو الملكات على حد تعبير عالم علم الاجتماع «ابن خلدون» رحمة الله، الرصيد اللغوي الكافي، الرغبة في التلقى وفي التواصل، القدرة على الربط والاستنتاج والتأويل، القدرة على الاعتراض، والمناقشة والتأييد (طرح الأسئلة من أجل الفهم والإدراك والاستيعاب).

وحرى بالذكر، أن الأسئلة التي تحاول التداوليات الإجابة عنها تتفق تماماً مع ما تدعو إليه المناهج الحديثة في العملية التعليمية، أو الخطاب التعليمي على وجه العموم، ومن أسئلة التداولية الآتى:

- ✓ من يتكلم؟ نوع المتكلم؟ معلم، شاعر، خطيب...
  - ✓ إلى من يتكلم؟ نوع السامع؟ في درجة المتكلم نفسه؟ منصب جيد؟ نائم؟ متعلم؟
  - ✓ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ نوع الرسالة المراد تقديمها؟ مادة تعليمية؟ تعلّيم مباشر؟ تعلّيم عن بعد؟  
الرسالة يحدّدها السياق.
  - ✓ ما هي مصادر التشويش والإيضاح؟ الغموض، اللبس.
  - ✓ كيف نتكلّم بشيء ونريد قول شيء آخر؟ (التأويل، البلاغة، الانزياح، الأسلوب، الجمالية الشعرية...) وهذا  
بالنسبة لللامبند في الماجا، التعلّيمية المتقدمة.

وتسود الإجابة عن هذه التساؤلات استحضار مقاصد التخاطب والتحاور والتواصل (الإلقاء والأداء التعليمي) وأفعال اللغة ببعديها المقاصدي المقالى والتدابرى وهذا تحدده نية المتكلم (قصده) ووظيفة الكلام (المادة التعليمية) وسياق الموقف (المدرسة والمستوى التعليمي، للتلميذ).

وإذاً كنا قد عثنا بـ «تعليمية اللغة العربية في ضوء المنهج التداولي (التعليم الابتدائي في الجزائر بين الواقع والمأمول)»، فلأننا رأينا أن التعليم منذ القديم يسير على خطى التيار التداولي، وإن لم تكن مصطلحات المنهج التداولي متداولة في عصور مضت، فإن مبادئها هي، تلك التي تعتمد كل مجالات الحياة وخاصة مجال التواصل اللغوي العام؟

فلا ضير أن يكون بحثنا للتأكيد على مبادئ التداوily في العملية التعليمية، ولكن المنهج التداوily لم ينطلق من العدم، ولا يمكنه أن يؤتي ثماره إلا بتضارفه مع مناهج أخرى تعتبرها ثابتة مهما تغيرت ظروف العصر، وفي مقدمة هذه المناهج المنهج الوصفي الذي يقوم على الملاحظة والتجريب، والمنهج الافتراضي الذي عماده المثير والاستجابة، بالإضافة إلى الاستقراء والاستنباط والتحليل من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية تتجلى معالمها في الكفاية التواصيلية والانتاجية.

ونحن ندعوا من خلال هذه الورقة البحثية إلى استثمار مبادئ التداولية بوعي وإدراك لا بطريقة عشوائية في العملية التعليمية خاصة في مجال تدريس اللغة العربية في المراحل الأولى بالأساس، لأن التداولية تدرس اللغة في الاستعمال أي معالجة اللغة من خلال أدائها وظيفتها التوأصلية، أي إن التداولية تهتم بدراسة كل السلوكيات والاستعمالات اللغوية لدى المتكلمين بلغة من اللغات في مجتمع معين، فهي تكشف عن سنن وقوانين هذه السلوكيات.

وتمثل معطيات التداولية ثورة حقيقة في مجالات متعددة لأنها تعتبر المعلم هو مركز العملية التعليمية بعد أن كان التركيز على المادة التعليمية، وتهدف المقاربة التداولية في تعليمية اللغات إلى اكتساب الملتقي كفاية تواصلية تمكنه من توظيف اللغة التي تعلمها في مختلف الوضعيات والمواضف الاجتماعية.

وأنسجاماً مع التصور التداولي، فإن المنهجية المقترحة في تعليمية اللغة العربية ينبغي أن تتبلور في خلق الرغبة لدى المتعلم الهدف وحثه على ممارسة النسق اللغوي بالتعبير الشفهي لمعرفة كيف يسمع، يعيده، يسأل، يجيب، يلاحظ، ويعبر بعد أن يكون قد تلقى المبادئ الأولى من أبجديات حروف ومفردات اللغة العربية، ومقارنتها بما في مخزونه حول الأشياء المحيطة به، تلك التي يفهمها.

وفي مجال المنهجية يقول «محمد الدريبي العلوي»: «والمنهجية على هذا الأسماء عند واضعها تحرص على تدريب المتعلم على عملية التمييز والموازنة لتنمو لديه تدريجياً القدرة على الحكم، فالقراءة والكتابة والتمارين البنوية وتمارين التفكير كلها نسق يخدم تعليم وتعلم اللغة العربية».

يتجلى من خلا ما أورده الدربي ثالث درجات من التعليم وهي: الاستيعاب والموائمة والتوازن.

فالطفل أو التلميذ بصفة عامة كلما وجد نفسه أمام شيء أو شخص أو موقف فإنه يستوعبه بشكل من الأشكال يلاحظه ويميزه ويفهمه ويقوم بربطه بما يعرفه من قبل، أو يقوم بتصنيفه وتخزينه في الذهن، فإذا شاهد سيارة غريبة مثلاً فإنه يعتبرها سيارة في كل الأحوال رغم غرابةها، وتأتي المواجهة بعد درجة الاستيعاب حيث تتم عملية تغيير المفاهيم والاستراتيجيات بحسب المعلومات الجديدة التي تلقاها ويسمى عالم النظرية البنائية «بياجيه» (piaget) هذه الاستراتيجيات (الاستيعاب والمواجهة) بالتصنيفات الذهنية أو الخطاطات الذهنية.

ويقود التوازن وهو ثالث درجة من درجات التعلم إلى تعديل الفرض الأساسية لدى المتعلم الذي يمثل من وجهة نظر (بياجيه) سلسلة من «النظريات» أو «الرؤى حول العالم» وبعد كل المراحل المعرفية والسلوكية يصبح المتعلم قادرًا على اتخاذ القرارات بطريقة الاستقراء والاستنباط ومعالجة المشكلات (حل التمارين) وبشكل منظم، وهو قادر على التفكير في الأشياء أو الأفكار والصور الذهنية عن طريق تذكر وتصور الأشياء، وعلى هذا الأساس فالنمو المعرفي يكون نابعًا من رغبة المتعلم ذاته لا بالتحفيز من قبل أطراف أخرى.

وبتضارف النظريات التعليمية، والمناهج العلمية الحديثة وباستثمار كل من المقاربة البنائية (كتاب قواعد النحو وحل التمارين) والمقاربة التداولية (اكتساب الكفاية التواصلية) يمكن متعلم اللغة العربية أن يتواصل بها، بل وينتج بها النصوص والخطابات وكل ما يحتاج إليه في مدرسته وفي مجتمعه وحتى مع غيره الناطق باللغة العربية الفصحى.

## 7. عرض إشكالية تعليمية النحو العربي

لا أحد ينكر الجهد الذي تقدمها الدولة من أجل تطوير قطاع التعليم في الجزائر بكل أطواره، خاصة في الأطوار الابتدائية الأولى لأنها المادة الخام التي هي أساس كل المراحل التعليمية اللاحقة، إلا أن ما نلاحظه هو أن تلامذتنا لا يستوعبون مادتي النحو والرياضيات بالدرجة التي يتمنى كل معلم أن يبلغها تلامذته، ونتساءل هنا: أين الخلل؟ ومن السبب؟ هل هي قدرة التلميذ؟ هل هي طريقة المعلم؟ هل هذا ناتج عن كثافة البرامج؟ هل يرجع السبب إلى المنهج؟

هي أسئلة قد أحالناها على التداوilyة والجواب هو أن كل التساؤلات المطروحة لها نصيب من الخلل في عدم إدراك معظم التلاميذ لمادة النحو خاصة.

يسعى صناع القرار في كل مرحلة من مراحل بدايات الموسم الدراسي إلى انتهاج استراتيجيات تعليمية جديدة مدروسة من قبل نخبة مختارة من طرف وزارة التربية لتقديمها إلى النشء، لكننا نرى أن المشكل ليس في مادة النحو، فقد استوعبناها نحن في زمننا، دون وسائل تكنولوجية معينة ولا دروس خصوصية، ولا حتى كتاب مدرسي خاص بالللميذ، كان المعلم هو كل شيء هو المعلم وهو الكتاب وهو الحل وهو الموجه.

إننا والحاله هذه نرجع أسباب تدني مستوى التلاميذ في كثير من المواد وخاصة النحو العربي إلى كثرة وكثافة البرامج أولاً، ثم إلى ابتعاد الأمثلة النحوية عن واقع ومحيط التلميذ، وإلى إرهاق كاهل التلميذ المبتدئ بالتمارين المنزلية في كل مادة: لغة عربية، رياضيات، تربية مدنية، فيزياء، ... ومن أجل هذا فننون نقترح تدريس المواد الأساسية في المراحل الابتدائية كمادة اللغة العربية بكل مستوياتها خاصة النحو والقراءة والكتابة ثم مادة الرياضيات ومادة التاريخ والرياضة والرسم، وفي السنة الثانية نضيف مادة أو اثنتين تربية إسلامية وفيزياء، وفي السنة الثالثة نضيف مادة واحدة وفي السنة الرابعة نضيف اللغة الفرنسية على أن نطور المواد الأساسية: لغة عربية، رياضيات، تاريخ، رياضة ونتحلّى عن الرسم والأشغال اليدوية والمواد التي لا يمتحن فيها التلميذ.

وإذا ما كنا نريد خيراً لهذا النشء فإننا نقترح أن يكون التدريس أو تلقي مادة النحو العربي من خلال نصوص أدبية تراثية جميلة، يقوم المعلم بعد قراءتها من قبل عدد من التلاميذ إلى تدوين الأمثلة على السبورة، على أن تكون النصوص الأدبية مفرداتها ليست عصيبة الفهم على التلاميذ، وبعد قراءة كل مثال يتم استخراج القاعدة الجزئية وإعطاء أمثلة متنوعة من قبل التلاميذ تدون على السبورة مع الضبط بالشكل وبعد استنتاج القاعدة العامة أو الكلية يكفل المعلم التلاميذ بانجاز التمارين الموجودة في الكتاب أو بإعطائهم أمثلة من محیطهم المعاش على أن يُحفز الطلبة على الحديث والاتصال باللغة العربية الفصحى أو السليمة، وتکلیفهم في كل مرة ببحث عن عالم من علماء النحو العربي حتى يتم ربط القواعد بصحابها طبعاً بالنسبة للتلاميذ في المراحل المتقدمة بعد السنة الأولى.

وقد يعترض معترض على دعوتي هذه، وقد يكون على حق لو لم تكن وسائل البحث التكنولوجية ميسرة اليوم لكل التلاميذ؟، أعتقد من وجة نظرى أننا بهذا التكليف سنعود التلميذ على عملية البحث العلمي وعلى الاشتراك بال شبكات العنكبوتية أو بالحاسوب من أجل غايات علمية أسمى، بدل ملء محافظتهم بكتب يفوق وزنها وزن كل تلميذ.

وانطلاقا من واقع التعليم الابتدائي في الجزائر، ومن مستوى تدني مستوى التلاميذ في معظم المواد التعليمية واعتراضها بالجهودات الجبارة التي قامت بها الدولة من أجل تطوير قطاع التعليم والرفع من مستوى النشء، فإننا نأمل لهذا الجيل مستقبل واعد وغدأ أفضل، ولكن هذا لا يتم إلا بإعادة النظر في البرامج والمناهج التعليمية لاختيار الأفضل وتطبيقه في قطاع التعليم بالإضافة إلى التخفيف من البرامج ومن المواد التي بالإمكان إدماجها أو تأخيرها إلى مراحل التخصص الجامعي.

وحتى تساير اللغة العربية التطورات الحاصلة، ينبغي تدريسيها في كل المراحل التعليمية وفي كل التخصصات قبل الجامعية وفي الجامعة حتى لا تكون هناك مقاطعة بين الطيب ولغته ولا بين المهندس ولغته وهكذا؟

كما يجب عدم الإنقصاص من أهمية اللغة العربية لأنها قبل كل شيء هي لغتنا الرسمية والوطنية، ولغتنا التي نتواصل بها مع الآخر، لغتنا التي نبدع وبها نتواصل وبها نؤدي عبادتنا، بالإضافة إلى أنها رمز هويتنا، وشعب بلا هوية شعب نكرة، والشعب الذي لا يطور لغته لن يتتطور أبداً، ونحسب أن التعليم الابتدائي هو الغاية والمنتهى لرقي اللغة العربية، ونعتقد أن التداولية هي المنهج الذي يجعلنا ندرك ماذا نقدم للطلاب؟ وماذا سنحقق؟ لأنها تمثل العلم الذي يدرس مقاصد المتكلمين وطبعاً لا يوجد متكلمين لا يفكرون، ولا تفكير بدون لغة !.

## 8. قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد أوزي: التعليم والتعلم الفعال، منشورات العلوم التربوية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015.

أحمد أوزي: بيداغوجية فعالة ومحددة كفايات التعليم والتعلم الجديدة للقرن الواحد والعشرين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2017.

محمود فوزي المناري: العلم واللغة (من يتكلم العلم العربية؟)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 2013.

مصطفى غلavan: اللسانيات التوليدية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016.

المصطفى الإدملود: أسئلة التجديد التربوي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012.